المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 19A1 كانون الاول 2025
No.19A Dec. 2025

الحجاز في السياسة الفاطمية: دراسة تاريخية تحليلية

ياسر فهمي حسين جاسم المجمعي
وزارة الكهرباء - الشركة العامة لتوزيع كهرباء الوسط فرع توزيع كهرباء ديالى
fhmyy2546@gmail.com

الملخص
يهدف هذا البحث إلى دراسة سياسة الدولة الفاطمية تجاه إقليم الحجاز وتحليل أبعاد نفوذها السياسي والديني فيه. وقد أظهر البحث أن الفاطميين اعتمدوا على شرعية نسبهم إلى آل البيت لتعزيز حضورهم، وأنشطوا في المنطقة من خلال سياسات عامة ترتكز على التسامح الديني والتعددية، مع السعي إلى فرض النفوذ الرمزي والسياسي على الحجاز. كما كشف البحث عن الصراع المستمر بين الفاطميين والعباسيين للسيطرة على المنطقة، وتأثير هذا الصراع على الأوضاع السياسية والاجتماعية للحجاز. ويخلص البحث إلى أن الحجاز شكّل محورًا استراتيجيًا لتعزيز مكانة الدولة الفاطمية في المشرق الإسلامي، بما يجمع بين البعد الديني والسياسي، مع الحفاظ على استقرار المناسك والتجارة.
الكلمات المفتاحية : الفاطميون ، الحجاز ، السياسة .

The Hijaz in Fatimid Politics: An Analytical Historical Study

Yasser Fahmi Hussein Jassim Al-Majma'i
Ministry of Electricity - General Company for Electricity Distribution in the Central Region, Diyala Electricity Distribution Branch

Abstract:
This study aims to examine the Fatimid policy toward the Hejaz region and to analyze the political and religious dimensions of their influence. The research demonstrates that the Fatimids relied on their legitimacy as descendants of the Prophet's family to consolidate their presence, implementing general policies based on religious tolerance and pluralism while seeking to assert symbolic and political authority over the Hejaz. The study also highlights the ongoing conflict between the Fatimids and the Abbasids for control of the region and its impact on the political and social conditions in the Hejaz. The research concludes that the Hejaz served as a strategic hub for strengthening the Fatimid position in the Islamic East, integrating both religious and political dimensions while maintaining stability in pilgrimage and trade activities.
Keywords: Fatimids, Hejaz, Policy

التمهيد

اولاً : الشرق الاسط

عرف المقدسي[1] المشرق الإسلامي بقوله: "هذا ذكر أقاليم الأعاجم الثمانية وشرح أسبابها على ترتيب التخوم وأهلها أحسن احوالا وأكثر أموالا وأشد بأسا واعظم خلقا وأرسخ في العلم وأمكن في الحين، لهم في الخير رغبة، وتجري خلال أقاليمهم الأنهار، وتلتف بضياعهم الأشجار".
وهذه الأقاليم هي المناطق التي فتحها العرب المسلمون واستقروا فيها وتشتمل على مناطق واسعة تمتد من حدود العراق الشرقية الى حوض السند وفرغانة شرقا، وبمعنى آخر في البلدان والمناطق الاسلامية غير العربية الواقعة في قارة آسيا خارج شبه الجزيرة العربية،[2] والتي اطلق عليها (المشرق الإسلامي) ويبدو أن مصطلح المشرق الإسلامي جاء نتيجة لوقوع هذه المنطقة شرق مركز الخلافة استنادا إلى رأي

[1] بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ص ٢٥٧
[2] معروف، عروبة العلماء المنسوبين الى البلدان الأعجمية: ص 41

قدامة بن جعفر [3] "إنه اذا قبل الشرق أو الغرب او الشمال او الجنوب، كانت هذه الأسماء جميعا قال بالإضافة الى عليه بعينه"[4]

وبما أن أغلب المؤلفات الجغرافية قد صُنِّفت خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، الموافقين للتاسع والعاشر الميلاديين، وذلك بعد أن أصبح العراق مركزًا لمملكة الإسلام، فقد جرى اعتماد تقسيم منهجي أُطلق عليه اسم «المشرق الإسلامي»، وشمل بلاد فارس والسند والهند وآسيا الوسطى، الأمر الذي أتاح رسم حدود جغرافية تمثّل ربع المملكة الإسلامية كما ورد عند اليعقوبي. [5]

ثانياً : الحجاز

هي من الأقاليم التاريخية التي امتدّ وجودها إلى عصور سحيقة، نظرًا لموقعها على طرق القوافل التجارية، إذ حظي الحجاز، شأنه شأن سائر مناطق شبه الجزيرة العربية، بأهمية بالغة لكونه مركزًا حيويًا يربط بين حضارات العراق ومصر وبلاد الشام واليمن. ونتيجة لذلك، نشأت في الحجاز عدة مدن ذات طابع تجاري وديني، من بينها مكة والمدينة والطائف وخيبر ووادي القرى، وذلك لتقديم الخدمات اللازمة لقوافل التجار.[6]

المبحث الاول التعريف بالدولة الفاطمية والمؤيدون لنسبهن

المطلب الاول التعريف بالفاطميون

سميت بالدولة الفاطمية نسبة الى فاطمة الزهراء أبنة الرسول (ﷺ)،[7] وجاء الفاطميون فآثروا الانتساب إلى السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، إذ أسّسوا أحقيتهم في الخلافة على كونهم من ذرية النبي محمد ﷺ، ومن نسل الوصي الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الذي يُعد الجد الشرعي لخلفائهم، ولذلك أطلق عليهم ابن الأثير[8] الدولة العلوية.

وقد بدأ حكمهم في شمال أفريقيا على يد مؤسس الدولة الفاطمية عبد الله المهدي الذي جمع حوله عددا من قبائل البربر وأطاح بحكم الأغالبة ثم الأدارسة، وفي عام(٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م) استطاع القائد الفاطمي جوهر الصقلي قائد جيوش المعز أن يحتل مصر وأطاح بآخر حاكم اخشيدي،[9] وقام ببناء مدينة القاهرة لتكون عاصمة خليفته المعز وكانت القاهرة بعد المهدية هي عاصمة الدولة الفاطمية وورثت الدولة العباسية وأسست القاهرة بدل الفسطاط وأصبحت عاصمة الدولة الفاطمية.

وتمكّنت الحركة الإسماعيلية من إقامة دولة في المغرب ثم في مصر على يد عبد الله المهدي سنة 296هـ، وهي الدولة الفاطمية. كما أسّس الإسماعيليون كيانًا سياسيًا آخر في فارس بقيادة الحسن بن الصباح سنة 482هـ، وفي مصر على يد قائد الجيش جوهر الصقلي سنة 358هـ، إضافة إلى قيام دولة في اليمن على يد الداعية ابن حوشب سنة 270هـ، وأخرى في البحرين على يد الحسن الأهوازي وحمدان بن الأشعث وأبي سعيد الجنّابي وزكرويه بن مهرويه في السنة نفسها. كما كان للإسماعيليين قلاعهم وحصونهم المستقلة المنيعة في بلاد الشام، وكذلك في إيران.[10]

يُعدّ عبد الله المهدي الإسماعيلي مؤسس الدولة الفاطمية وأحد كبار دعاة الحركة الإسماعيلية، وقد تعرّض للسجن أكثر من مرة قبل أن يتمكن من الهروب، لتؤول السلطة بعد ذلك إلى ذريته التي توالت على حكم الدولة الفاطمية. وعلى الرغم من أن قيام الدولة الفاطمية ارتكز على أساس مذهبي، فإنها قدّمت نموذجًا

---

3. بن قدامة الكاتب البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة: ص659
4. ومعنى ذلك على سبيل المثال فان مصر هي من أعمال المغرب الا انها تعتبر مشرق لمن هو في بلاد الأندلس، وكذلك خرسان فهي مشرق لنا ومغرب لأهل الصين وهذا الأمر ينطق على سائر النواحي التي لابد ان يكون لها قصبة بشار منها الى نواحيها ينظر: قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة: ص659
5. بن واضح، البلدان: ص ٧١
6. الاصطخري، المسالك والممالك: ص21
7. المقريزي، اتعاظ الحنفا: ج1، ص22 .
8. ابن الأثير،الكامل في التاريخ: ج6، ص124
9. جمال الدين، الدولة الفاطمية:ص١٥٩
10. محمود العقاد، فاطمة الزهراء والفاطميون: ص١١٢

متميّزًا في التسامح الديني واحترام التعددية المذهبية والفكرية، إذ طبّق الفاطميون روح الإسلام القائمة على الرحمة والتسامح والحرية ، وانسجمت السياسة الفاطمية مع هذا التوجه، إذ سعت إلى ترسيخ نوع من التفاهم بين مختلف المذاهب، انطلاقًا من اعتبار خلفائهم أئمة لجميع المسلمين. وقد انقسم الحكم الفاطمي تاريخيًا إلى مرحلتين رئيسيتين: مرحلة مغربية، وأخرى مصرية، حيث انتقل مركز الخلافة من المهدية في تونس إلى مصر، وتم تأسيس مدينة القاهرة في عهد المعز لدين الله ، وفي عهد المستنصر بالله، خرجت بلاد الشام من سيطرة الفاطميين بعد استيلاء السلاجقة عليها، كما فقدت الدولة الفاطمية نفوذها في جزيرة صقلية إثر سيطرة النورمان عليها بقيادة روجر النورماندي سنة 461هـ ، كما تعرّضت مصر خلال هذه الفترة إلى وباء واسع النطاق يُعدّ من أطول الأوبئة التي عرفتها في العصور الوسطى، إذ استمر ثماني سنوات (446–454هـ)، وأدّى إلى إضعاف الدولة الفاطمية بصورة كبيرة. وقد اصطلح المؤرخون على تسمية هذه المرحلة بـ«سنوات الشدة العظمى»، والتي رافقها اضطراب سياسي واسع تمثّل في اندلاع الحروب الأهلية وتفكك السلطة.[11]

وفي عهد الخليفة المستعلي بدأت الحملات الصليبية على بلاد الشام، وتمكّن الصليبيون من احتلال بيت المقدس سنة 493هـ. وقد تعاقب على الحكم بعد المستعلي عدد من الخلفاء، منهم من عُزل ومنهم من قُتل، إلى أن انتهى عهد الدولة الفاطمية سنة 567هـ بدخول الأيوبيين مصر، لتسقط الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي، الذي تولّى قيادة جيش محمود نور الدين زنكي، وتمكّن من السيطرة على مصر، معلنًا قيام الدولة الأيوبية ، وتُعدّ الدولة الفاطمية أول دولة شيعية قامت في شمال أفريقيا، إذ تأسست في مطلع القرن الرابع الهجري (بداية القرن العاشر الميلادي)، وامتد نفوذها ليشمل أجزاء واسعة من المشرق العربي. وقد حكم الفاطميون منذ ظهور المهدي أبو محمد عبد الله في سجلماسة واستيلائه عليها سنة 290هـ، إلى أن انتهى حكمهم في مصر بعزل الخليفة العاضد في أواخر شهر محرّم سنة 567هـ، لتبلغ مدة حكمهم نحو مئتين وخمس وسبعين سنة وشهرًا واحدًا.[12]

لكن في ظهور الشيعة وتفوقهم الحقيقي وعلوهم ، يعود الفضل في فضل الحكومة الفاطمية لفاطمة ابنة الرسول. ولأن أصحابها يعتمدون عليها ، وبالنسبة لمؤسسها عبد الله المهدي ، يطلق عليها أيضًا حكومة العبيدي. بدأ التشيع في الشرق على يد بني بويح في منتصف القرن الرابع الهجري.

ندما دخل البويهيون بغداد، عمدت الدولة الفاطمية إلى تعزيز نفوذها في المغرب، واقتربت من تنفيذ مشروعها لغزو مصر. وقد بالغت الأسرة البويهية في نزعتها الشيعية، واعتقدت أن الخلافة العباسية قد اغتُصبت من مستحقيها الشرعيين، الأمر الذي دفع بعضهم إلى اقتراح تسليم الخلافة إلى العلويين أو إلى الفاطميين. غير أن هذا الرأي قوبل بالاعتراض من قِبل أتباعهم، إذ أُشير إلى التناقض القائم في التعامل مع خليفة يُنظر إليه على أنه غير مستحق للخلافة، ومع ذلك يُبقى عليه في الحكم، حتى إنهم رأوا أن دمه كان يمكن أن يُعدّ مباحًا لو صدر الأمر بذلك ، وفي المشرق، ولا سيما في المناطق الخاضعة لسيطرة البويهيين، أُحييت العديد من الشعائر والاحتفالات الدينية الشيعية، من بينها إحياء يوم عاشوراء تخليدًا لذكرى استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام). كما فُرض على الخليفة العباسي أن يذكر اسم الحاكم البويهي في الخطبة، في دلالة واضحة على خضوع السلطة العباسية للنفوذ البويهي في بغداد.[13]

أما مصر، فإن تنامي النفوذ الشيعي في المشرق قد سهّل على الدولة العبيدية (الفاطمية) التوجّه نحو غزوها والتقدّم إليها، ولا سيما أن جذور هذه الدولة كانت قد ترسّخت في إفريقية قبل تأسيس مدينة المهدية. وقد اعتمد خلفاؤها في شرعية حكمهم على الانتساب إلى الحسين بن علي (عليه السلام)، غير أن آراء المؤرخين تباينت بشأن صحة هذا الانتساب؛ إذ أنكر بعض المؤرخين المتعصّبين للعباسيين هذه النسبة. غير أن الرأي الراجح يميل إلى صحة هذا الانتساب، ويُعزى سبب التشكيك فيه إلى محاولات العباسيين تشويه صورة خصومهم السياسيين للحدّ من نفوذهم وسلطتهم ، وقد عُرف عن المصريين ميلهم إلى الإمام علي (عليه السلام) منذ فجر الإسلام، وكانوا من أنصاره عند مقتل الخليفة عثمان بن عفان، إلا

11. الهاشمي، الخلافة الفاطمية:ص٧٠
12. الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية: ص٩٢
13. محمد العربي، الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم " دار المصرية اللبنانية:ص٩٤

أن اهتمامهم بالشيعة العلويين ظلّ محدودًا. ويُعزى ذلك إلى أن العلويين ركّزوا نشاطهم في البداية على العراق وبلاد فارس، ثم تعرّضوا لاحقًا لاضطهاد شديد في العهد العباسي، ولا سيما في زمن الخليفة المنصور، الذي قام بسجنهم وقتل عدد منهم، ومن أبرزهم محمد بن عبد الله الحسني وبعض أفراد أسرته ، وقد دفع هذا الاضطهاد كثيرًا من العلويين إلى الفرار من المواجهة مع السلطة العباسية، وكان من بينهم علي بن محمد بن عبد الله، الذي توجّه إلى مصر بدعوة من بعض الشيعة، إلا أنه لم يلبث أن أُلقي القبض عليه وسيق إلى الخليفة المنصور، ثم اختفى ذكره بعد ذلك ، وتأرجح وضع الشيعة العلويين في مصر بين التضييق والازدهار تبعًا لتقلّب الأوضاع السياسية للخلافة العباسية في بغداد. ففي سنة 236هـ، جرى إخراج عدد منهم إلى العراق، ثم نُقلوا لاحقًا إلى المدينة المنورة، في حين اضطر من بقي في مصر إلى التواري والاختفاء، خاصة في ظل سياسة المتوكل العباسي، إذ بالغ عمّاله في اضطهاد الشيعة، وسعوا إلى تشويه صورتهم، حتى إن بعض أفراد الجيش كانوا يُتّهمون بارتكاب مخالفات ويُعاقبون عليها في إطار هذه السياسة القمعية.[14]

فأمر يزيد بن عبد الله والي مصر في ذلك الوقت بجلده ، حتى أقسم الرجل بحق الحسن والحسين عليه السلام أن لا يعفو عنه ، فأصابه ثلاثين جلدة. ومن بينهم رجل كان له مبشرون وأنصار اعتقله وأرسله إلى العراق مع أسرته وضرب المرتهنين. وعندما تولى المنتصر بن متوكل الحكم عام 247 هـ كتب إلى والي مصر عدم ضمان مالك علوي وعدم ركوب الفرس وعدم السفر من الفسطاط إلى إحدى ضواحي مصر.[15]

وقد اتّسمت سياسة السلطة تجاه العلويين بالشدة، إذ لم يكن يُؤخذ العبد إلا بعبدٍ واحد، وإذا وقع خلاف بينهم وبين أحد من الناس دون تحقيق أو استفسار، فكان العلويون يتعرضون لعقوبات قاسية. ومن أمثلة ذلك ما حدث في عهد أحمد بن طولون، الذي نال استقلاله بإمارة مصر سنة 254هـ، حيث انتهج سياسة اضطهاد واضحة تجاه الشيعة، وذلك لكونه تركي الأصل، ولرغبته في إرضاء الخليفة العباسي، فانتقم من العلويين ودخل معهم في صدامات متكررة ، ومع مرور الوقت، ضعفت الدولة الطولونية في مصر، واضطربت أوضاع الخلافة العباسية في بغداد، إلى أن غلب البويهيون على مقاليد الحكم في القرن الرابع الهجري، وهو ما أسهم في عودة النشاط الشيعي وبداية مرحلة من التعزيز والانتشار ، وفي هذا السياق، كانت الأوضاع في صقلية ومصر مهيّأة لتقبّل الدعوة الفاطمية، فتمكّن القائد جوهر الصقلي من دخول مصر بأيسر السبل، معلنًا الدعوة للعلويين، ورافعًا شعاراتهم، ومُزيلًا شعارات الخلافة العباسية ، وقد انتهى الحكم الفاطمي في مصر بعد أن تعاقب على الخلافة أربعة عشر خليفة خلال المدة الممتدة من سنة 297هـ إلى سنة 567 هـ، لتؤول السلطة بعد ذلك إلى الأيوبيين من الأكراد، معلنة بذلك نهاية الدولة الفاطمية في مصر.[16]

ومن أبرز إنجازات الخلافة الفاطمية هي بناء المساجد اعتمادًا على التقاليد الإسلامية، مثل الجامع الأزهر، ومسجد الحكيم، ومسجد الأقمر، وتأسيس المكتبات العامة والمدارس مثل مدرسة دار العلم، ومكتبة الأزهر، ومكتبة المستشفى وبناء الأبراج الفلكية، وتشجيع الدراسات والكتابات الفلكية وتعزيز الدراسات الطبية، وإنشاء المَراكز الطبية الإسلامية حيث أصبحت القاهرة أهم مركز ثقافي في العالم الإسلامي تحت قيادة الخلافة الفاطمية.

و صناعة النسيج، وبناء مصانع النسيج في مصر، وتطوير الأقمشة المُطرزة وازدهار الفن الزخرفي مثل الفخار، والكريستال الصخري، والمنحوتات الخشبية، والعاج، والزجاج، والأعمال المعدنية.[17]

المطلب الثاني المؤيدين للنسب الفاطمي

يختلف العلماء المؤرخين في نسب عبد الله المهدي اختلافا كثيرا، فهنالك جماعة يرون صحة نسبه الى

14.،بطرس البستاني الموسوعة الحضارة الإسلامية:ص٢٨
15. الرفاعي، النظم الإسلامية: ص١٣٣
16. البيطار، البشر في تاريخ القرن الثالث عشر:ص٥٨
17. ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ص١٧٠

اسماعيل بن جعفر الصادق، وجماعة ينكرون صحة هذا النسب حيث يرون ان عبيد الله من سلالة ميمون القداح او من سلالة موسى الكاظم.

وبهذا نرى المؤيدين نسب عبيد الله الى علي وفاطمة ثلاث طوائف، طائفة تقول انه امام من الأئمة الاثنا عشرية الموسوية، وطائفة تنسبه الى اسماعيل بن جعفر وهم من الاسماعيلية، وجماعة من السنين يرون صحة انتسابه لإسماعيل[18]

ويؤيد عدد من المؤرخين صحة النسب الفاطمي حيث ارجعوا نسبهم الى الإمام عَلِيُ بن ابي طالب والسَيده فاطمة الزهراء (ع).

ومن المؤيدين لصحة النسب الفاطمي هو المؤرخ يحيى بن سعيد الانطاكي حيث يذكر ((ان عبدالله المنتهي نسبه الى محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، واصله بالمشرق، وميلاده كان بسلمية، ولما ترعرع سيره ابوه أعني ابو المهدي الى اليمن في سنة ثمان وستين ومائتين)) [19]

كذلك من المؤيدين للنسب الفاطمي هو المؤرخ ابن خلدون حيث قال ((ومن الاخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والاثبات في العبيدين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن اهل البيت والطعن في نسبهم الى اسماعيل الامام بن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك على احاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفا اليهم بالقدح فيمن ناصبهم، وتفننا في الشمات بعدوهم حسبما تذكر بعض هذه الاحاديث في اخبارهم ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات وادلة الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم))[20]

ومن خلال هذا النص اكد على صحة النسب الفاطمي ويبين ان التشكيك في نسب الفاطميين انه من بعض مظاهر التوهم في التاريخ، ويؤكد انهم اعتمدوا على بعض المتزلفين حيث لفقت أحاديث المستضعفين من خلفاء بني العباس، لما كانت تمر به الخلافة من تدهور وضعف ويقابلها ظهور الدولة الفاطمية في المغرب وانتقالها الى مصر، حيث لجئوا لهذا الاسلوب لأنهم ادركوا خطرهم عليهم وارادوا تداركه.

كما ان ابن الأثير استدل على صحة نسب عبد الله المهدي يقوم على أساس تلك الأبيات المنسوبة للشريف الرضي، وفيها إثبات هذا الأخير للنسب الفاطمي، إذ يقول:

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صارم، وانف حمي
ألبس الذل في بلاد الأعادي ... وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه إبي، ومولاه مولا ... ي إذ ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيدا النا ... س جميعاً: محمد، وعلي[21]

هذه الأبيات التي أسس عليها بن الأثير بناءه صحة النسب حيث لم يودعها في بعض ديوانه خوفا فان الخوف يحمل على اكثر من هذا[22]

كما قال ابن الاثير في موضع اخر ((" واول من ولي منهم ابو محمد عبيد الله، فقيل هو محمد بن عبدالله بن ميمون بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم، ومن ينسب هذا النسب يجعله عبدالله بن ميمون القداح، وقيل هو عبدالله بن احمد بن اسماعيل الثاني محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم، وقد اختلف العلماء في صحة نسبه فقال هو وأصحابه القائلون بامامته:ان نسبه صحيح على ماذكرناه ولم يرتابو فيه، وذهب كثير من العلوين العالمين بالأنساب الى موافقتهم ايضا "[23]

18. حسن و شرف، عبد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب: ص143
19. الانطاكي، تاريخ الانطاكي اوما يعرف بصلة تاريخ اوتيخا: ص59
20. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر:ص 121
21. ابن الأثير، الكامل: ج6، ص124
22. ابن الأثير، الكامل: ج6، ص446
23. ابن الأثير، الكامل: ج6، ص446

وقد أيد الداعي القرشي[24] صحة انتساب الفاطميين إلى العلويين، فقد ذكر ((" لم يجد فيهم مطعناً، ولا استطاعوا أن يطفئوا ما آتاهم الله من النور الباهر والسناء، ووجدوهم علماء لا يعلمون، وفقهاء لا يؤدبون، طعنوا في إنسابهم صلوات الله عليهم، عدواناً وظلماً، وبغياً وأثماً...))، ثم يذكر ((والأئمة عليهم السلام، فمن ذرية جعفر الصادق الأمين الذي هو من أفضل ذرية علي أمير المؤمنين، وانتسابهم إلى فاطمة الزهراء كريمة سيد المرسلين سلام الله وصلاته عليهم أجمعين، فمن زعم غير ذلك فهو مفتري أفك "...)).

فمن خلال ذلك نلاحظ ان بعض المؤرخين ذكرو مجموعتين مختلفتين من الاسماء في سلسلة اباء عبيدالله المهدي الخليفة الفاطمي الاول، وان هذا يعود لسببين اولهما هي ان في بداية الدعوة حيث كانت تعيش مرحلة من الغموض والتستر في ذلك الوقت خوفا من ملاحقة العباسيين لهم، اما السبب الاخر وهو اتخاذ الأئمة الأسماعيلية اسماء مستعارة للتخفي والتستر حيث ادا الى الخلط بين الأئمة الحقيقين والدعاة لهم، لذلك يوجه المؤرخين صعوبة في التعرف على اباء واجداد عبيدالله المهدي.

كما ان بعض المؤرخون اختلفوا في اسماء أئمة الأسماعيلية فلذلك حاول الداعي إدريس توضيح ذلك الغموض والاختلاف في أسماء أئمة الإسماعيلية، ففي رواية اسمه أحمد، وفي رواية أخرى الحسين، فلما استتر أبناء جعفر الصادق خوفا من بطش العباسيين أطلقوا على أنفسهم ألقابا وهي مبارك، وميمون، وسعيد.

و ينسب الفاطميين من وجه نظر العباسيين والامويين فقد شنت الخلافة العباسية حملة دعائية رسمية مناوئة للإسماعيليين، وبلا أدنى شك هذه الحملة كانت سياسية سببها من يمثل العالم الإسلامي العباسيون يدعون لأنفسهم الحق الشرعي لتمثيل المسلمين متخذين الزعامة الجديدة من لدن الخلفاء الفاطميين أئمة البيت العلوي، خصوصاً الوضع العام للخلافة العباسية يوحي الى الضعف السياسي والعسكري في آن واحد، حتى أنها غزيت من قبل الفاطميين ولعدة مرات منها اجتياح من قبل عبد الله المهدي لدفعتين الأولى في (301هـ/913م) والثانية في (306هـ/918م) والتي هددت فيها مركز الخلافة العباسية[25] وكذلك غزيت بتأثير من إجراءات الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله المنصور (386 – 411هـ/996 – 1020م) الذي لعب دوراً كبيراً في أضعاف الوضع السياسي الداخلي للخليفة القادر، كما كان له دوراً في تمرد الأطراف الخاضعين للسيادة العباسية وأعمالها ومن ثم اعترافهم بالسيادة الفاطمية.[26] حيث كان الجدل حول النسب الفاطمي، وظهر الطعن في شرعيته، أصدرت الخلافة العباسية على عهد الخليفة القادر بالله، وفي شهر ربيع الآخر من سنة ٤٠٢ هـ وثيقة رسمية من ديوان الخلافة مفادها الطعن والقدح في نسب بني عبيد، وقرئ المحضر ببغداد وأخذت فيه خطوط الأشراف والقضاة والفقهاء والصالحين والمعدلين والثقات، لما عندهم من العلم والمعرفة بنسب عبد الله المهدي، وقد حفظ ابن الجوزي وغيره من المؤرخين الثقات أسماء الموقعين على محضر الطعن، وكان من العلويين المرتضى، والرضي، وابن الأزرق الموسوي، وأبو طاهر بن أبي الطيب، ومحمد بن محمد بن عمر، وابن أبي علي، وابن الطحاوي العلوي، ومن القضاة أبو محمد بن الأكفاني، وأبو القاسم الخرزي وأبو العباس السوري، وأبو بكر الباقلاني، أما الفقهاء أبو حامد الإسفرائيني، وأبو محمد الكشفلي، وأبو الحسين القدوري، وأبو عبد الله الصيمري، وأبو عبد الله البيضاوي، وأبو علي بن حمدان وأبو الفضل النسوي، وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة، أما الشهداء: أبو القاسم التنوخي وخلق كثير، وقرئ أيضا بالبصرة وقد أصدر الخليفة العباسي القائم بأمر الله محضرا أخر يطعن في نسب الفاطميين سنة ٤٤٤ هـ، أخذت فيه أيضا خطوط الأشراف والقضاة والعلماء والشهود، كما جرى في المحضر الأول.

ومهما يكن من اثر الفاطميين فاننا لا نود ان نذهب بعيداً في تقدير اهمية نسب الفاطميين لان النسب مسأله تشريف وسواء اكان هؤلاء من نسل اسماعيل بن جعفر الصادق ومن ثم من نسل علي بن ابي طالب وفاطمة بنت النبي او كانت نسبتهم ترجع الى عبد الله بن ميمون القداح، فان ذلك لا ينقص من شان

---

[24] القرشي، عيون الأخبار: ج5، ص158-159
[25] الكنَدي،الولاة والقضاة: ص269
[26] الكندي،الولاة والقضاة: ص274 – 275

اعمالهم السياسية والحضارية التي غذت مرحلة تاريخية هامة امتدت على مدى اكثر من قرنين ونصف القرن.

المبحث الثاني
سياسة الفاطميون اتجاه الحجاز

المطلب الاول سياسة الفاطميين العامة

الفاطميون من الدول الإسلامية التي قلدت الحكومات العباسية في نظام حكمها وكل شؤونها باستثناء ما يتعلق بالدين ، لأنهم أيدوا كل ما يتفق مع الرأي الشيعي في تفضيل العلويين وإعطائهم الأولوية. العمل على كلام أئمتنا. أقسم بالله على معاذ لاي الدين الله وابنه ، وفتحه على أبواب الفقه ، فوصل حجمه إلى نصف صحيح البخاري ، وفيه الفقه. الجماعة الإسماعيلية ونخب الشعب وعوامهم وكل الفقهاء والقضاة والأدباء بين يديه ، وجعله مرجعًا قضائيًا في الفتاوى ، وأفتى بها الناس ودرسوا في المسجد القديم. وحاول (مسجد عمرو) والخلفاء الحفاظ عليه من خلال العطاء والتشجيع على الناس ، فأجر الله تعالى 35 فقيهًا شاركوا في مجلس الوزراء وهم ، بالإضافة إلى ما كان له ، من الرزق واعتمدوا عليه بما فيه الكفاية. كان يأخذ من مال الله تعالى في الصلوات السنوية،[27] وأمرهم ببناء منزل بجوار الجامع الأزهر ، وفي عيد الفطر ينزلهم ويأخذهم على البغال لتشجيعهم على نشر الفقه الشيعي والتعليم ، ويجلسون الناس فيه. القصر. من الخلافة لقراءة علوم أهل البيت على الناس. لأنه مع توسع تلك الطائفة ، يتم دعم تلك الحكومة ، بسبب ارتباط السياسة بالدين كما ذكرنا ، ومن يقرأ الكتاب غير ذلك ، فإنهم يتعقبونه ويعاقبونه بشدة. كما رأيتم كان ممتازًا في دعم دعوتهم ، فلا عجب أن يزوره عزيز وهو مريض وقال له: أتمنى أن يبيعوك حتى أشترك بمالي. الظاهر سنة 411 هـ وهو من أهل المالكي وغيرهم من فقهاء مصر.

وأكدوا على أمر الناس بالحفاظ على كتاب أركان الإسلام وموجز الوزير. لأنهما من قرابة فاطمة بنت الرسول وهي غير متزوجة في الميراث.[28]

مرت الحكومة الفاطمية بثلاث مراحل شبيهة بالمراحل التي مرت بها الدولة العباسية ، وكما رأيت فإن تأثير هذه الكلمة في الحكومة العباسية كان مشتركًا بين العرب والفرس في البداية ، ثم وصل إلى الفرس ثم الفرس. الأتراك والفاطميين إلى العرب الذين أقاموا حكومتهم من قبل العرب والبربر ، فتوزع التأثير بين هذين العنصرين في البداية ، ثم وصل إلى الأمازيغ ثم إلى الأتراك.

كانوا سعداء برحيل الحكومة الأموية ، لكنهم كانوا غير راضين عن انتقالها إلى الأندلس القريبة منهم. ولأنهم كانوا يكرهونهم بسبب اتحادهم ، فقد دعموا العلويين على نكاية ، باستثناء أولئك الذين كسبهم الأندلسيون بالمال ، وكان البربر يتمتعون بنفس القدر من الجدارة في انتشار الإسلام في وسط إفريقيا مثل الأتراك في نشر الفضيلة. إنه في آسيا الوسطى ، حتى الهند والصين. لأن البربر لما نشأ الإسلام بينهم انتفضوا ليفتحوا ما كان وراء بلادهم في غرب إفريقيا فنشروا الإسلام فيها..[29]

عندما تأسست الحكومة الفاطمية في المغرب ، كان البربر ، وخاصة قبائل قطامة وحوارة ، من أنصارها وهم من قبائل الصنهاجة ، لذلك أخذوا يد الفاطميين منذ تأسيسها في أيام عبد الله المهدي. أول الخلفاء لهم أواخر القرن الثالث الهجري. وأول من فعل ذلك هو أبا عبد الله شيعي ، وأثناء خلافة ابنه القائم وعمر الله "عام 322 هـ" ثم المنصور بنصرالله "عام 334" ظلوا على حالهم. هـ "، ثم المعز لدين الله" سنة 341 هـ "وساعدهم على امتلاك المغرب كله وإزاحته من البيعة العباسية وأيام المعز لدين. فتح الله الفاطميون مصر وبنوا القاهرة ونقل حكومتهم إليها.

ولما جاءت الخلافة إلى العزيز بالله بن المعز عام 365 هـ أراد أن يقلد العباسيين فزور التركان والديلم وصنع منهم الكثير وقدمهم وجعلهم ملكه. كان يخاف من البرابرة على حياته. قدمهم البربر وجعلوهم قريبين منهم ، فشرطوا أن يتولى ابن عمار قطامي (من البربر) شؤونهم ، فجعله وسيطًا مثل الوزارة

27. ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ص٢١٢
28. الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ص١٥٦
29. حمزة، شرح الأخبار في معرفة الأئمة الأطهار: ص١٤٢

معهم ، فكان ظالمًا. في الشؤون. قدم الدولة والبرابرة وأعطاهم وأولياء أمورهم وقلل من قيمة العبيد الأتراك والدلام الذين جعلوهم عزيزين. إلى الحكومة ، فأغويهم مع ابن عمار حتى أطاحوا به ، وبعد الوساطة تنحى عنها وأخذها مع برجوان ، فقدم توركان وديلم واستعملهما في القصر ، ثم بدأ الحاكم في قتل ابن ففعل. فقتله عمار وقتل الكثير من رجال حكومة والده وجده ، فضعف البرابرة وأصبح الأتراك أقوياء.[30]

ولما مات الحكيم بأمر الله وظهر ابنه زاهر مكانه عام 411 هـ ، كرم دين الله أكثر من الترفيه وانتبه إلى الأتراك والشاميين ، وبدأ البرابرة يتراجعون. استمرت القيمة في الانخفاض حتى اختفت تقريبًا. وصل أبناء بشرته إلى ألف عبد أسود وفاق عددهم على الأتراك ، فنشأ جنود الطائفتين وتنافسوا وتنافسوا على احتكار النفوذ ، وتحولت المنافسة إلى حرب كانت مصر فيها مؤسفة. كان على الخليفة أن يستعين برجال دولته في سوريا ، فجاء إليه بدر الجمالي أمير لشكريان من سوريا ، وكان في الأصل أرمنيًا ، وقتل كثيرين وأقام هذه الدولة. كان هناك جيش من الأرمن في مصر وبعد ذلك تم تشكيل معظم الجيش منهم واختفى تأثير البرابرة وكانوا من بين الرعايا وبعد أن أصبحوا وجها لم يبق لهم شيء في الحكومة. وقيادات شعبها ، وفي هذه الأثناء احتل السلاجقة العراق وإيران.،[31] وخرجت حكومة البويه ، وضُعفت شؤون الشيعة فيها ، وعين السلاجقة مماليكهم وقادتهم (الأتابك) على الولايات ، واستقل كل منهم في حكومته ، وهو ما سبق ذكره ، بما في ذلك نور الله. دين زانجي على العشاء. وكان من بين قادة نور الدين مجموعة من الأكراد الشجعان ، منهم نجم الدين أيوب وشقيقه أسد الدين شركوه ، ووصلوا معه إلى مكانة عالية ، وانتهت الخلافة المصرية عام 555. للميلاد إلى العديد بن يوسف ، وكان يعتبر ضعيفًا ، وتغلب وزرائه على حكومته وتنافسوا على احتكار النفوذ ، واستمر تنافسهم حتى دمروا البلاد ، وعجز الخليفة عن القيام بالعمل ، ومن كان هناك منافس لوزير اسمه شاور كان يسيطر على شؤونه ، فذهب إلى نور الدين زنكي وتوسل لرجل آخر كان ينافسه في الوزارة ، وكان رهينة. شاركه الدين بجيش من المماليك ، فأعاد الوزارة إلى شاور ، وكان هذا دفع ثلث خراطيش مصر لنور الدين ، وكانت الحروب الصليبية بينهما ، فتدخل نور الدين. . أضيف شيركوه إلى شؤون مصر ونائبه هناك ، ومعه ابن أخيه يوسف بن نجم الدين صلاح الدين الأيوبي الشهير ، وتوفي شيركوه في مصر عام 564 هـ وخلفه صلاح الدين. هو في منصب نائب وهو نفس الوزارة.[32]

كان صلاح الدين شخصاً طموحاً ، فعندما وقع في أزمة التمثيل التي تشبه الوزارة ، ورأى ضعف الخليفة ، أراد مصر لنفسه وليس لأميره نورال. -دِين. تفاقمت أزمة الأوامر وقصة الصليبيين في تلك الأيام ، فتولى صلاح الدين قيادة حربهم واتخذ إجراءات لا يزال يتردد صداها في التاريخ حتى يومنا هذا ، وأهمها استعادة القدس وتوسيعها. . السلطة عليك وعلى الآخرين. وأسس الحكومة الأيوبية ، السنية من حيث الجنس والمذهب ، لذلك عادت مصر إلى ظل الحكومة العباسية فقط من حيث الولاء.

خلفه صلاح الدين وعائلته في جلب المماليك الأتراك والشركس إلى الجيش حسب تقاليد تلك الأوقات ، حتى لو كثروا وظلموا شؤون الحكومة وسعوا للسلطة. عندما ضعفت الحكومة الأيوبية ، فهموا أزمة الحكومة وأنشأوا حكومتين سميت باسم السلاطين المماليك ، وهما المماليك البحري والمملوكي برجي. . ولما جاء التتار عام 656 هـ وفتحوا بغداد وقتلوا الخليفة (المستسيم) فر العباسيون الباقون ولجأوا إلى سلاطين مصر تحت حكم بيبرس الملك الظاهر فاختار أحدهم. قلدوه للخلافة وبايعوه ، وبهذا انتخبت الخلافة العباسية للقاهرة ، وبقي الخلفاء العباسيون وبايعوهم حتى فتح السلطان سليم الفاتح العثماني مصر عام 923. م ، وكان الخليفة العباسي الذي وثق بالله آخر خلفائهم.[33]

المطلب الثاني

النفوذ الفاطمي في الحجاز وصراعهم مع العباسيين

حاول الفاطميون عدة مرات السيطرة على الحجر أو دعوتهم إليها ، وهذه الجهود تعود إلى فترة الخلافة

30. البصري،الولاة والقضاة: ص١٢١
31. بن عَلي، اتعاظ الحَنفاء باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء: ص٢٦٤
32. بن علي،اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء: ص١٥٤
33. حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر: ص٢١٨

الفاطمي الأول عبد الله المهدي (٢٩٧- ٣٢٢ هـ / ٩٠٩-934م). ففي سنة (٣٠6 هـ / ١١٨م) حين هاجم الجيش الفاطمي مصر واستطاع دخول الإسكندرية[34] كتب أبو القاسم ولي عهد المهدي وقائد جيشه إلى أهل مكة يدعوهم إلى طاعته ويعدهم بحسن السيرة فيهم[35] وكان يأمل من وراء ذلك تقوية مركزه في مصر وتعضيد موقفه أمام العباسيين، إلا أن أهل مكة رفضوا دعوته آنذاك وأجابوه أن لهذا البيت رب يحميه، ولن نؤثر على سلطاننا غيره.[36]

ويظهر أن الحجازيين رفضوا دعوته لأن نشاط الدعاة الإسماعيلية كان ضعيفا في مهده، ولم يكن أهل الحجاز يعرفون شيئا عن الدولة الفاطمية الناشئة لبعد المسافة بينهم وبين المغرب، ولقد جاءت الفرصة الفاطميين لتعريف أنفسهم للحجازيين وأنهم حريصون على أمن الحرمين الشريفين وسلامة الحجاج، حينما هاجم أبو طاهر القرمطي وجماعته مكة سنة (٣١٧ه /٩٢٩م)، وأخذ القرامطة الهجوم على الحجاج وكثيرا ما انقطع الحج من المشرق وتعرضت قوافل الحجاج للاعتداء بسبب هجمات القرامطة،[37] وكان افضع اعمالهم الإجرامية هو ما عمله أبو طاهر الجنابي[38] سنة(317هـ/ 929م) في الهجوم على مكة وقتل الحجاج واخذ الحجر الاسود ولم يعيدوه الا في سنة(339هـ/ 940م)،[39] وأراد أن يخطب لعبد الله المهدي الذي رفض دعوته وكتب إليه كتابا شديد اللهجة يلعنه فيه على ما فعل، ويطلب منه إعادة الحجر الأسود إلى مكانه.

وفي ذلك الوقت كان خلفاء العصر العباسي الأول قد قضوا على جميع الاضطرابات العلوية في الحجاز وأضعفوها حتى انشغل الخلفاء العباسيين بالفتن والثورات التي قام بها الأتراك فقام بعض العلويين باستغلال هذه الفرصة وسرعان ما تغلبوا عليها وأسسوا دولة السليمانيين في إمارة مكة بقيادة السلطان من بني سليمان مع بعض العلويين الطامحين وقد خلع أميرهم طاعة الخليفة العباسي آنذاك وأقام الخطبة لنفسه بالإمامة سنة(301)هجري في عهد خلافة المقتدر.

وأتخذ المعز من النزاع الذي حدث سنة (348هـ /959م) بين أمراء الحرمين فرصة لفرض مكانته، فعندما علم الخليفة المعز وكان في المغرب بوقوع نزاع بين (بني الحسن) (وبني جعفر بن ابي طالب)[40]بالحجاز، عمل على حسم الخلاف بينهم وأرسل إليهم سراً مالاً ورجالاً سعوا بين الفريقين حتى عقدوا بينهم صلحاً في المسجد الحرام، وقام رسل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بأداء دية القتلى وقد كان فاضل القتلى لبني حسن عند بني جعفر سبعين قتيلاً وذلك لأنه قُتل من بني الحسن أكثر ممن قتل من بني جعفر بن ابي طالب، فأدى القوم ذلك إليهم، وتحملوا دياتهم من مال المعز الفاطمي، فصار ذلك فضلاً عند بني الحسن للمعز[41] وتمكيناً لمكانته عند الأشراف العلويين.

وما أن تم الفتح الفاطمي لمصر على يد جوهر الصقلي سنة (358هـ / 968م) حتى أنفذ الخليفة المعز من المغرب حملة كبيرة إلى بلاد الحجاز لإخضاعها سنة (360هـ / 970م)،[42] وأعلن بنو الحسين (أهل المدينة المنورة) مساندتهم للفاطميين لنشر نفوذهم في بلاد الحجاز؛ وكان لضعف الخلافة العباسية دورا في انضواء الحجاز تحت الهيمنة الفاطمية، فقد كانت بغداد والخلافة العباسية خاضعة لنفوذ البويهيين.

---

34. المقريزي، اتعاظ الحنفا: ج1، ص٧١
35. القرطبي، صلة تاريخ الطبري: ص ٧٧
36. القرطبي، صلة تاريخ الطبري: ص78
37. ابن الأثير، الكامل: ج8، ص311؛ اليافعي، مراة الجنان: ج2، ص267، 287
38. أبو طاهر القرمطي، هو سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي حاكم القرامطة احتل البصرة سنة(311هـ/923م)، وأخذ يعيث بالبلاد الفساد والقتل، وقتل حجاج مكة ونهب الحجر الاسود، وبقي يعيث الخراب حتى توفى (332هـ/943م) بمرض الجدري، الصفدي، الوافي بالوفيات: ج15، ص224؛ الديار بكري، تاريخ الخميس في أحوال انفس النفيس: ج 2 ص 253
39. ابن الأثير، الكامل: ج8، ص207- 208
40. بطن من بني هاشم بن عبد مناف من قريش من العدنانية ؛ ويسمون بـ(الجعافرة) وهم احدى القبائل التي يتألف منها اشراف الحجاز المنقسمين إلى (21 قبيلة) ؛ وديارهم شمالي جيزان، (الزبيري، نسب قريش: ص58؛ الاصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص308
41. ابن خلدون، العبر: ج 4، ص101 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء: ج1، ص101
42. القلقشندي، صبح الأعشى: ج 4، ص273

ولم يلبث كبير الأشراف الحسنيين وهو(الحسن بن جعفر بن محمد الحسني)[43] الذي كان في المدينة أن ضم مكة لسيطرته والقيام بالخطبة للخليفة المعز لدين الله في الحرمين وكتب إلى جوهر الصقلي بذلك،[44] فبعث جوهر إلى المعز الفاطمي يعرفه بإقامة الدعوة له في مكة، فأرسل المعز من المغرب إلى الحسن بن جعفر بتقليد الحرم وأعماله.[45]

وما لبث أن حذا آل الحسين القاطنين بالمدينة المنورة حذو بني الحسن، بأن أعلن طاهر بن مسلم الحسيني استقلاله بأمارة المدينة المنورة سنة (360هـ) وخطب فيها للخليفة المعز الفاطمي، فمنع اسم الخليفة العباسي المطيع من الخطبة في الحرمين الشريفين.[46]

ولترسيخ مكانة الخليفة المعز في الحجاز قام بإرسال الأموال والهبات والخلع إلى أشراف الحجاز وأسرهم، حتى أن نصيبهم بلغ أربعمائة ألف درهم سنوياً، فضلاً عن أرسال كسوة الكعبة[47] والأنفاق ببذخ على قافلة الحج في كل عام،[48] كما كان يرسل كميات من الحبوب والبقول لسكان أهل الحرمين الشريفين (مكة والمدينة) والقرى المجاورة لها.[49] وهذا يدلل على مدى حرمان أهل الحجاز من الموارد الاقتصادية الواردة من الخلافة العباسية ببغداد ربما لأسباب سياسية تتعلق بضعف الخلافة العباسية وخضوعها لسلطة البويهيين، فضلاً عن عدم رغبة العباسيين بمناصرة الإشراف العلويين هناك.

ويبدو أن موقف الحسن بن جعفر الحسني هذا وانضمامه إلى جانب الخليفة الفاطمي وتأييده لنفوذه في بلاد الحجاز إنما كان لظروف اقتصادية وأخرى سياسية ومن ثم لاعتقاده بأنه سيحقق للحجاز الدعم الاقتصادي والاستقلال الذاتي.

حيث استمر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله سياسته من خلال توطيد نفوذه على مدينة الحجاز فقد أرسل سنة (359هـ /969م) القائد الفاطمي جوهر الصقلي وقام بتوزيع أموال عظيمة[50] حيث يذكر ذلك المقريزي بقوله: ((أرسل عسكراً وأحمالاً عدتها عشرون حملاً وعدة أحمال متاع)).[51]

ومما يجدر ذكره أن الخلافة العباسية وقتذاك كانت عاجزة عن استرداد نفوذها في بلاد الحجاز، بسبب سيطرة البويهيين عليها في بغداد، غير أن نفوذ الخلافة الفاطمية في الحجاز أُصيب بنكسة كبيرة بسبب حلفائهم القرامطة الذين لم يلبثوا أن انقلبوا ضدهم، ويبدو أن السبب في ذلك التحول، هو امتناع الخلفاء الفاطميين عن دفع الأتاوة التي كان يدفعها الأخشيديون لهم،[52] فضلاً عن تأييد الخلافة العباسية لزعامة الحسن الأعصم في وقت كان الفاطميون فيه يدعمون منافسيه من أبناء ابي طاهر القرمطي،[53] غير أن السبب الذي دفع القرامطة إلى هذا التحول وموالاة الجانب العباسي على الرغم من اختلاف المذهب هو المكاسب السياسية والاقتصادية التي كانوا سيحصلون عليها من الخلافة العباسية نكايةً بالخلافة الفاطمية القوية، ومما يؤكد ذلك مقولة الحسن الأعصم لأتباعه والتي جاء فيها:((لو فطنا لما فطن له ابن بويه

---

43. هو الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون(ابن حزم، جمهرة انساب العرب: ص41-42؛ ابن ظهيرة، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف: ص305
44. القلقشندي، صبح الأعشى: ج4، ص273
45. القلقشندي، صبح الاعشى: ج4، ص274 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء: ج1، ص104
46. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: ص160؛ سرور، سياسة الفاطميين الخارجية: ص24
47. بعد أنتقال الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى مصر سنة (362هـ / 972م) شرع في أرسال الكسوة إلى الكعبة وكانت قبل ذلك ترسل من بغداد في كل عام، ولما ضعفت الخلافة العباسية صارت ترسل الكسوة تارة من اليمن وأخرى من مصر، إلى أن استقرت على مصر، وكانت الكسوة الخارجية السوداء ترسل إلى الكعبة الشريفة سنوياً تقليداً وكلما تولى ملك أو سلطان أرسل للكعبة بكسوة داخلية من الحرير الأحمر ينظر، الأزرقي، اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: ج1، ص258
48. المقريزي، اتعاظ الحنفاء: ج1، ص104
49. سرور، سياسة الفاطميين الخارجية: ص24
50. الفاسي، العقد الثمين: ج1، ص186
51. المقريزي، اتعاظ الحنفا: ج 1، ص101
52. بردي، النجوم الزاهرة: ج 4، ص74
53. الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية: ص43

الديلمي لاستقامت أمورنا وذلك أنه ترك المذاهب جانباً وطلب الغلبة والملك فأطاعه الناس))،[54] وبذلك خرج القرامطة عن طاعة الفاطميين ووقفوا إلى جانب الخلافة العباسية ورفعوا شعار (السادة الراجعون إلى الحق) وحاربوا جيوش الخليفة المعز الفاطمي في بلاد الشام ومصر.[55]

افادت الخلافة العباسية من هذا الانقسام وهذه الفرقة التي حصلت بين القرامطة والفاطميين في استعادة نفوذهم في الحجاز،[56] وتمكن القرامطة من إقامة الخطبة في موسم سنة (359هـ / 969م) للخليفة العباسي المطيع وحليفه الحسن الأعصم،[57] وقد خلَّد الخلفاء العباسيون هذا الانتصار بتقديم هدية قيمة للكعبة الشريفة ليثبتوا لكافة المسلمين سيادتهم الدينية والدنيوية على بلاد الحجاز، وقد وصف ابن الجوزي تلك الهدية وطريقة عرضها بقوله: ((وورد كتاب ابي أحمد الحسين بن موسى نقيب الطالبيين من مكة بتمام الحج في سنة (359هـ / 969م) وأنه لم يرد أحد من قبل المغربي وأن الخطبة أقيمت للمطيع لله وللهجريين من بعده وأنه علق القناديل التي حملها معه خارج البيت، وكان واحد منها ذهباً وزنه ستمائة مثقال والباقي فضة مدة خمسة أيام حتى رآه الناس ثم دخلت البيت، وأنه نصب الأعلام الجدد التي حملت معه وعليها اسم الخليفة)).[58]

وبذلك فقد قامت الخطبة للخليفة العباسي المطيع وللقرامطة الهجريين في مكة وقطعت خطبة الخليفة الفاطمي المعز وخطب له بالمدينة المنورة سنة (360هـ / 970م) فقط، كما خطب أبو أحمد الموسوي[59] والد الشريف الرضي خارج المدينة المنورة للخليفة العباسي المطيع.[60]

ولكن الفاطميين تحركوا سريعا فأمدوا حلفاءهم الحسينيين حكام المدينة المنورة بقوة كبيرة استطاعوا بها الاستيلاء على مكة وإعادة الخطبة للفاطميين مرة أخرى وإحباط محاولة القرامطة في هذا الصدد.

فيذكر أن المعز حول موازين القوى إلى جانبه عام (٣٦٣ ه) واستطاع أن يضمن ولاء أشراف مكة وإعادة الخطبة له على منابر الحرم من جديد وقطعها للخليفة العباسي بل إنه خطط بصورة منظمة لنشر المذهب الشيعي بمكة المكرمة حتى يضمن ولاء أهل مكة سياسيا ومذهبيا بل إنه ساعد بني المهنا الحسينيين على الوصول إلى الحكم وتكوين دويلة صغيرة بالمدينة المنورة خاضعة للخلافة الفاطمية لكي تكون سندا لهم ضد أشراف مكة المتقلبين دائما.[61]

ونتيجة لذكاء المعز وحسن سياسته استطاع أن يثبت النفوذ الفاطمي بالمناطق المقدسة طوال فترة حكمه، بل إن الدولة الفاطمية من جراء ذلك كسبت إضفاء نوع من الشرعية عليها وعلى مذهبها.

وفي تلك الفترة قاموا الاعراب بمهاجمة قوافل الحجيج القادمين من العراق مستغلين سوء الاوضاع وعدم توفر الحماية الكافية لطرق الحج، فقد تعرض بنو هلال[62] وغيرهم من الأعراب سنة (363هـ/ 973م) إلى قوافل الحجيج القادمين من العراق وقتلوا الكثير منهم مما أثر على الحج فقد توقف نظراً لسوء الوضع الأمني وتهديد الأعراب لطرق الحج والحجاج ولم يسلم من هذه الوقعة إلا نفر يسير مضوا مع قافلة

---

54. ابن الجوزي، المنتظم: ج6، ص225
55. المقريزي، اتعاظ الحنفا: ج1، ص187 والتي بعدها
56. سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب: ص40
57. الجزيري، درر الفوائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المكرمة: ص245
58. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج7، ص53
59. أبو احمد الموسوي، وهو من بيت آل النقيب الطاهر من بني المرتضى بن موسى الثاني بن ابراهيم المرتضى من بني الحسين بن علي (عليه السلام) ذو المناقب الشريفة، نقيب النقباء امير الحجيج السفير بين الملوك ؛ امه موسوية ؛ ولي القضاء بين الطالبيين وخصومهم من العامة قبض الامير البويهي (عضد الدولة) عليه وحبسه في القلعة ورتب على الطالبيين علي بن احمد العلوي العمري نقابة الطالبيين اربع سنين الحسيني، غاية الاختصار في اخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار: ص49
60. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج7، ص40 ؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر: ج2، ص111
61. عبدالمنعم،الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه: ص ١5
62. بنو هلال، بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانية وجبل بني هلال بالشام معروف، وبه قلعة هلال المشهورة، وهم ايضاً بطن من النخع من القحطانية القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان: ص117-118

أخرى للحجاج قادمة من العراق تحت أمرة الشريف ابي أحمد الموسوي على طريق المدينة.[63] واستمر تهديد الاعراب وغزوها لقوافل الحج، ففي سنة(364هـ / 974م) تعرض بنو هلال وقبائل اخرى من الاعراب للحجاج فسلبوا اموالهم وقتلوا الكثير منهم مما تسبب في توقف الحج نظراً لسوء الأوضاع وعدم توفر الحماية الكافية لطرق الحج.[64]

إلا أن الأمور لم تستقر على هذا النحو بعد موت الخليفة المعز، ففي سنة (365 ه) أخذت موازين الأمور تختل بعض الشئ في عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي نتيجة لمحاولة العباسيين استعادة مكانتهم السياسية والدينية بالمنطقة وقد ساعدهم على هذا موت الأمير جعفر بن محمد الحسني، وتولى ابنه عيسى بن جعفر أمارة مكة من (٣٧٠ ه-٣٨٤ ه)، ولم يكن هذا الأمير راض عن نشر المذهب الشيعي من ناحية، إلى جانب رغبته القوية في التخلص من السيطرة الفاطمية من ناحية أخرى، فأسقط اسم الخليفة العزيز بالله (365 ه) وأحل محله اسم الخليفة الطائع العباسي.[65]

إلا أن الخليفة العزيز بالله لم يقف مكتوفي اليدين حيال تلك المحاولة، فبعث سنة (٣٩٧ ه) بإدريس بن زيري الصنهاجي أمير الحج فاستولى على الحرمين وأقام الخطبة للخليفة العزيز مرة أخرى.[66]

إلا أن النفوذ الفاطمي لم يكن مستقرة طوال عهد الخليفة العزيز بالله، فقد دعا أمير الحج العراقي لعضد الدولة ابن بويه وأسقط اسم الخليفة العزيز بالله من على منابر مكة المكرمة، فاضطر العزيز بالله لإرسال حملة سنة(٣٨٠ ه) إلى بلاد الحجاز فرضت حصارا اقتصاديا وعسكرية على البلاد، فاضطر أهلها إلى إعادة الخطبة من جديد للخليفة العزيز بالله وانقطعت للعباسيين، والحقيقة أن الخلفاء العباسيين لم يسكتوا على تلك السياسة، فعندما فشلوا عسكريا لإعادة سلطانهم على المناطق المقدسة استخدموا سلاحا أخر أشد ضراوة من السلاح العسكري، فأخذوا يعملون في الخفاء على تحريض القبائل الحجازية للخروج على الفاطميين وإثارة نوع من الفوضى بالطرق التي يمر بها الحجيج، إلا أن الفاطميين غالبا ما كان لديهم القدرة على إعادة الأمن والأمان إلى المنطقة وحماية الحجيج وتأمين طرق الحج، إلى جانب الإنفاق الذي كان يفوق الحد في كسب رضا أمراء مكة من بني الحسن بن طاهر، وكذلك أمراء من بني الحسين وجعل كل منهما يواظب على إقامة الخطبة للخليفة الفاطمي على منابر الحرمين.

وقد استمر النفوذ الفاطمي على الحجاز في عهد الحاكم بامرالله الفاطمي اذ ارسل في سنة (397 هـ/ 1006 م) كسوة بالقباطي البيض بالكعبة المشرفة وارسل في ذلك الوقت الاموال لأهل الحرمين. [67]

حيث حرص الخليفة الظاهر الفاطمي عند توليه الخلافة على اهتمامه بديمومة النفوذ الروحي والسياسي للدولة الفاطمية في مكة والمدينة حيث استمرت الخطبة له في الحرمين،[68] وجهز الظاهر سنة (420 ه /1029م) الحجاج إلى بيت الله الحرام،[69] ووصلت الكسوة التي ارسلها الظاهر الى الكعبة والأموال للصدقة وصلات لأمير مكة،[70] يتضح من ارسال الظاهر صلات لأمير مكة مدى حرص الخلفاء الفاطميين على تعزيز نفوذهم السياسي في مكة فضلا عن سعيهم الى رفع مكانة الخلافة الفاطمية في العالم الاسلامي.

الخاتمة

خلصت دراسة السياسة الفاطمية تجاه الحجاز إلى أن الدولة الفاطمية عملت بجدية على ترسيخ نفوذها السياسي والديني في المنطقة منذ عهد المؤسس عبد الله المهدي وحتى عهد الخلفاء اللاحقين، مستغلة ضعف السلطة العباسية وخضوع بغداد لنفوذ البويهيين. وقد توج هذا النفوذ بالسيطرة على الخطبة في

---

63. ابن الجوزي، المنتظم: ج7، ص57 ؛ السيوطي، الجزيري، درر الفوائد المنظمة: ص245
64. السيوطي، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة: ج2، ص199
65. سرور، النفوذ الفاطمي: ص ١٩
66. حسن، تاريخ الدولة الفاطمية: ص٢٣٨
67. عبد النبي«، السياسة الخارجية للدولة الفاطمية (358-427هـ / 968-1035م) »: ص 92
68. ابن خلدون، العبر : ج4،ص102، سرور، سياسة الفاطميين الخارجية: ص27
69. سبط بن الجوزي، مرأة الزمان: ص344
70. الجزيري، درر الفوائد المنظمة: ص254

الحرمين الشريفين، وتقديم الدعم المالي والاقتصادي للأشراف وأهل الحجاز، إضافة إلى تأمين طرق الحج وحماية الحجاج من الاعتداءات، رغم التحديات الأمنية الناتجة عن هجمات القرامطة وقبائل البدو.

وأظهرت الأحداث التاريخية أن الفاطميين لم يكتفوا بالسيطرة الرمزية، بل سعوا إلى كسب ولاء الأسر الحجازية الكبرى، وإقامة دولة عمادها الولاء السياسي والمذهبي، بما يعزز شرعية الدولة الفاطمية ومذهبها الشيعي في المنطقة. كما بينت الدراسة أن الحجاز شكّل محورًا استراتيجيًا للحفاظ على توازن القوة في المشرق الإسلامي، وأن الفاطميين استثمروا العلاقات مع الأشراف والحلفاء المحليين لتثبيت نفوذهم، وهو ما ساعد على استمرار سيطرتهم ورفع مكانة الخلافة الفاطمية في العالم الإسلامي على الصعيدين السياسي والديني.

وبذلك، يمكن القول إن الحجاز لم يكن مجرد منطقة جغرافية، بل كان أداة محورية في الاستراتيجية الفاطمية لتعزيز السلطة، والحفاظ على مكانة الدولة بين القوى الإقليمية المتنافسة، مع تحقيق توازن بين البعد الديني والسياسي، وضمان استمرار حماية الحرمين الشريفين والحجاج.

المصادر

1. ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن ، (ت 630 هـ)، الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر .
2. أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري (ت: ٣٧٥ ه/ ١٩٨٥)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، مطبعة بريل، ليدن،
3. معروف، ناجي، عروبة العلماء المنسوبين الى البلدان الأعجمية، د،ط دار الحرية، بغداد، ١٩٧4م
4. أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي (ت: ٣٣٧ / 948م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، د ط، دار الرشيد للطباعة، بغداد، ١٩٨١
5. احمد بن ابى يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: 292هـ ، 904 م)، البلدان، وضع حواشيه: محمد امين ضناوي،
6. الاصطخري ، ابراهيم بن محمد (ت 350هـ) ، المسالك والممالك ، القاهرة ، 1961 ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢
7. تقي الدين احمد بن علي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف ، ٢٠٠٨،
8. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، 1412 هـ .
9. عباس محمود العقاد، فاطمة الزهراء والفاطميون، ط١(د.ت)، المكتبة العصرية- بيروت .
10. عبد المنعم الهاشمي ، الخلافة الفاطمية ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ٢٠٠
11. محمد الخضري بك ، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، سنة ٢٠٠٣،
12. عواطف محمد العربي ، الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم " دار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨
13. بطرس البستاني الموسوعة الحضارة الإسلامية ، دار مكتبة الهلال بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ٢٠٠٥
14. أنور الرفاعي ، النظم الإسلامية ، دار الفكر ، بيروت الطبعة الأولي ، سنة ١٩٧٣
15. عبد الرزاق البيطار، البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجت، ط٢ ١٩٩١م، دار صادر-بيروت- لبنان

16. يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي (ت458 ه) ، تاريخ الانطاكي اوما يعرف بصلة تاريخ اوتيخا ، تحقيق ، عمر عبد السلام تدمري ،(لبنان-1990م)
17. يوسف البصري ،الولاة والقضاة ، تحقيق رفن كست ، بيروت ، مطبعة الآبا اليسوعين ، ١٩٠٨
18. يحيى حمزة ، شرح الأخبار في معرفة الأئمة الأطهار ، ط ٢ ، بيروت : منشورات الأعلمي ، ٢٠٠٦
19. إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وبلاد العرب ، ط ٣ ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤
20. يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي (ت458 ه) ، تاريخ الانطاكي اوما يعرف بصلة تاريخ اوتيخا ، تحقيق ، عمر عبد السلام تدمري ،(لبنان-1990م)
21. حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري [ت ٩٦٦ هـ] ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، المطبعة الوهبية، مصر (وصورتها دور نشر مثل دار صادر - بيروت) - ١٢٨٣ هـ .
22. صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، د ط دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٤م
23. سرور، محمد جمال الدين ، سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربي،مصر ب ، ت .
24. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (ت874ه/ 1469م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين، دار الكتب العلمية، بيروت،1992،
25. سرور محمد جمال الدين ، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، دار الفكر العربي . القاهرة، ب، ت ، ص79 .
26. سرور محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية تعبير جديد ، ط ٣ ، بيروت / الدار المصرية اللبناني .